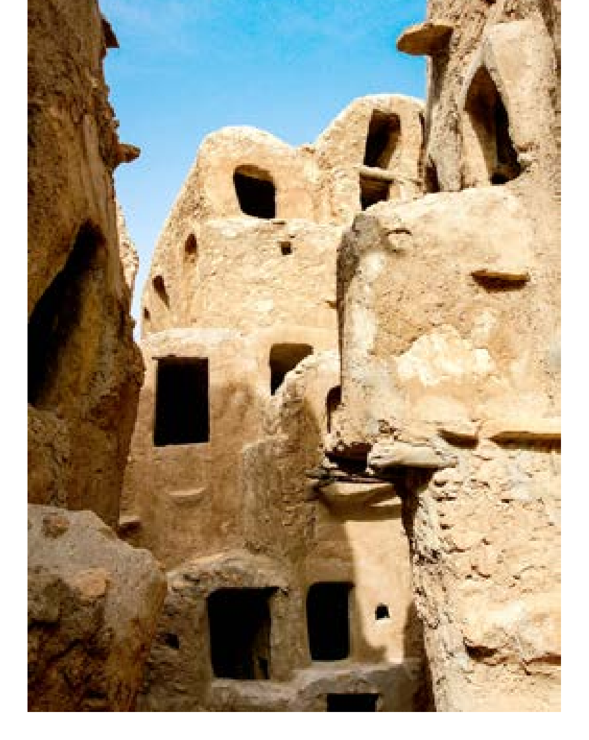
قصور التخزين في جبل نفوسة



إن من المهم والمؤسف في آن واحد أن نعترف بأن أهم الدراسات الأركيولوجية والتاريخية عن ليبيا كتبت على يد غير ليبيين، من متخصصين وباحثين أجانب - غالبا أوربيين - وبعثات أثرية تقوم بإرسالها جامعات ومراكز متخصصة قامت على مدى عقود طويلة بكتابة الكثير من الأبحاث والدراسات عن التاريخ الليبي، لكن يظل مركز اهتمامها هي تلك الآثار ذات العلاقة بالحضارات العالمية .. الرومانية والإغريقية مثلاً، فيما تعد المعلومات عن الآثار الليبية الخالصة شحيحة، كالجرمنت مثلاً .. ففي ظل عدم وجود دراسات كثيرة عنهم، يظل مشروع ديفيد ماتنغلي (**هجرات الصحراء**) إضافة إلى سابقه تشارلز دانيلز هي كل ما نملكه حول حضارة سادت طويلا، ثم بادت كقدر كل حضارة، وهي بالتأكيد مصادر قليلة جداً.

نفس الأمر ينطبق على قصور التخزين في جبل نفوسة، فالمصادر والدراسات حولها شحيحة جداً رغم أهميتها وانتشارها، فلا نملك حتى اليوم قدرة الجزم مطلقاً على السنة التي بُني فيها مثلاً قصر الحاج أو قصر أولاد محمود أو غيرها رغم أنها بلا شك تعود لمئات السنين.

إن هذه القصور أو "**إيغسرا**" لم تشيد للترف أو لتكون مسكناً لوالٍ أو زعيم لهذه المدن والقرى، بل كانت بمثابة البنك أو المصرف الذي يُدَّخر فيها اقتصاد المدينة، تنقسم عادة إلى حجرات صغيرة كانت تخزن فيها الحبوب والزيت والغلال وكل ما يخص قوت البلد، بحيث يكون لكل عائلة حجرة صغيرة تخصها.



ينقل الدكتور محمد المقيد الورفلي عن "موتيلنسكي" قوله في وصف أحد هذه القصور: "**يحيط بهذه المنازل المتراصة مبنى قصر التخزين، ويحتوي على 300 حجرة، يحفظ بها الأهالي ما يحتاجونه لأهلهم ودوابهم، وفي الأمسيات ينعقد ما يشبه السوق الصغير في هذا القصر، وثمة من يبيع بضاعته مباشرة للناس، وثمة من يعطيها إلى بائع المزاد (الدلال) ليبيعها**"
بنيت هذه القصور بمواد محلية كالجبس والطين والحجارة وجذوع النخيل وسائر الأشجار المتوفرة، وهي في طريقة بنائها رغم اختلاف الشكل الخارجي أحياناً بين مدينة وأخرى إلا أنها تظل متطابقة إلى حد كبير في طريقة بنائها.
"**وكان ثمة رجلاً يقوم بالحراسة في هذا القصر ووجوده كعدمه، لان لا أحد يفكر في سرقة جاره، وعلى الرغم من ضيق المكان، فان اسواقاً كانت تعقد بفناء هذا القصر**" هكذا يقول موندادوري كما ينقل عنه الورفلي في كتابه (الآثار الإسلامية في جبل نفوسة).



ويكتب الأخير قائلاً في وصف حجرات أحد القصور:

"وتتميز حجرات قصر التخزين بشكلها المستطيل، ويبلغ عرض معظمها حوالي 1.75م بينما يبلغ ارتفاعها 1.65م تقريباً، ويوجد داخل اغلب الحجرات الْجِرار الكبيرة المستعملة لحفظ زيت الزيتون، وبما ان بعض هذه الجرار الكبيرة الحجم موجودة في حجرات يبلغ عرض مدخلها 85سم، وارتفاعها 1.10م فالأرجح إنها وضعت بهذه الحجرات قبل تسوية المدخل. هذا ان لم تكن فتحات الحجرات قد ضيقت في فترة ما وكل الحجرات مغطاة بأقبية برميلية، وأبوابها جميعاً مصنوعة من جذوع الأشجار، أما ما نراه من الأبواب الخشبية المصقولة فهي حديثة العهد.

وتوجد في جميع الحجرات تقريبا فتحة صغيرة في الجدار المقابل لفتحة المدخل، ومهمتها توفير التهوية للحجرة، وتزويدها بقليل من الضوء، وهي ما تجعل الناظر إليها من خارج القصر، يفكر في استعمالها للمراقبة، ويجعله أيضاً يشبه هذا القصر بالحصن".

والجدير بالذكر أن هذه القصور موجودة بكثرة، منها ما هدم بسبب الحروب أو عوامل أخرى وكثير منها لا يزال موجودة بحالة جيدة تماماً، كقصر الحاج وهو أشهرها، وقصر كاباو وفرسطاء ونالوت ووازن وطرميسة وغيرها كثير.





